

أغَيِّرْ عِبَادَاتِي

قيام الليل

شمار اليوم: موعد مع الحبيب

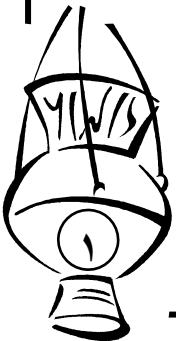
توق التغيير
٢٦
رمضان

(١) أربعاء اليوم:

- أنه مطردة للداء عن الجسد.
- يكسو وجه صاحبه نوراً: لأن الجزء من جنس العمل.. فإنهم لما احتملوا ظلمة الليل جازاهم الله بأن نور وجوههم. قال سعيد بن المسيب رحمه الله: (إن الرجل ليصلي بالليل، فيجعل الله في وجهه نوراً يبه عليه كل مسلم، فيراه من لم يره قط فيقول: إني لأحب هذا الرجل).
- سبب زيادة الرزق: فقد قرن الله بين الصلاة وبين زيادة الرزق في قوله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه: ١٣٢].
- يعرض صاحبه للنفحات الإلهية: وقت نزول الرب عز وجل إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له.
- يحصل لصاحبه أعظم ثواب بأقل جهد: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين» [رواه أبو داود].

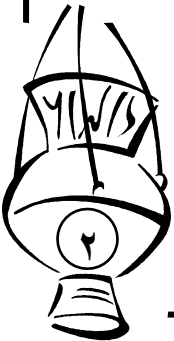
(٢) نور قرآني:

- قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦].
- قال ابن كثير في تفسيره: (يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة).
- وقال عبد الحق الأشبيلي: (أي تنبو جنوبهم عن الفرش، فلا تستقر عليها، ولا تثبت فيها لخوف الوعيد، ورجاء الموعد).
- وقد قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]. قال الحسن: (كابدوا الليل، ومدوا الصلاة إلى السحر ثم جلسوا في الدعاء والاستكانة والاستغفار).



(٢) قدوتنا الرسول ﷺ

- كان ﷺ يطيل القيام: عن ابن مسعود قال: (صليت مع النبي ليلة، فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء. قيل: ما هممت؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه!) [متفق عليه].
- قال ابن حجر: (وفي الحديث دليل على اختيار النبي تطويل صلاة الليل. وقد كان ابن مسعود قوياً محافظاً على الاقتداء بالنبي، وما هم بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده).
- وكان ﷺ لا يدعه مهما اشتد به المرض أو شغلته الظروف: قالت عائشة رضي الله عنها لعبد الله بن أبي قيس: (لا تدع قيام الليل، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً) [صحيح].
- القيام شكر: وعلمنا النبي ﷺ أن القيام لون من الوان شكر النعمة. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه. فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟) [متفق عليه].
- دلالة على أن الشكر لا يكون باللسان فحسب، وإنما يكون بالقلب واللسان والجوارح. وقد كان النبي ﷺ القدوة العليا والنموذج الأكمل، فقام النبي بحق العبودية لله وشكره على وجهه الأكمل.
- وكان يوقظ من يجب للقيام:
- عَنِ الطَّفِيلِ بْنِ أَبِي بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ» [صحيح].
- عن الحسن بن علي بن أبي طالب ؑ أن أباه أخبره أن رسول الله ﷺ طرده وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة، فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله، إن شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك، ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته يقول وهو مول، يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] (١).
- قال الطبري معلقاً: (لولا علم النبي ﷺ من عظم الصلاة في الليل، ما كان يزجج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقهم سكناً، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه: ١٣٢]).



(١) رواه الشيخان عن الحسن كما في اللؤلؤ والمرجان رقم (٤٤٣).

(٤) من درر الأقبال:

يا أخي... علامة المحبة حب لقاء الحبيب. ويا حبذا الخلوة به بعيداً عن أعين الناس. لَمَّا صَفَتْ الوقت للقاء نادى أذان الوصال: أقم فلاناً. وأتم فلاناً. فخرجت أسماء الفائزين؛ وقرت عيون المحبين. فماذا أفادك طول الرقاد ولذة السبات؟! أه لو كنت معهم! أسفاً لك يا مسكين!! يا غارقاً في السبات.. فاتك مدح الإله الجليل: تتجافى جنوبهم عن المضاجع. وَحَرِمْتَ مَنَحَةَ الثناء الجزيل: والمستغفرين بالأسحار.

□ اكسر قيودك: قيل للحسن البصري: أعجزنا قيام الليل. قال: (قيدتكم خطاياكم. إنما يأذن الملوك للخلو بهم ومخاطبتهم لمن يخلص في وداهم ومعاملتهم. فأما من كان من أهل مخالفتهم فلا يرضونه لذلك).

□ من المحروم؟! قال الفضيل بن عياض: (إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك).

□ قسمة بالسوية!! قال أبو عثمان النهدي: (تضيّفت أبا هريرة سبعاً. فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثاً. يصلي هذا. ثم يوقظ هذا).

□ أنيروا القبور قبيل الوصول!! قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (صلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور).

□ أفضل القربات: قال رجل للحسن: يا أبا سعيد.. ما أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من الأعمال؟ قال: (ما أعلم شيئاً يتقرب به المتقربون إلى الله أفضل من قيام العبد في جوف الليل إلى الصلاة).

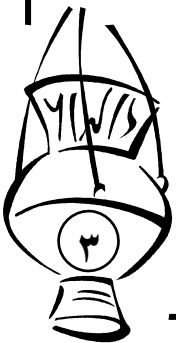
(٥) من روائع القصص:

□ كان عمرو بن عتبة بن فرقد يخرج فيركب فرسه في جنح الليل فيأتي المقابر فيقول: (يا أهل القبور!! طويت الصحف ورفعت الأقلام. لا يتوبون من سيئة ولا يستزيدون في حسنة). ثم يبكي. ثم ينزل عن فرسه فيصاف بين قدميه. فيصلي حتى يصبح. فإذا طلع الفجر ركب فرسه حتى يأتي مسجد حيه فيصلي مع القوم كأنه لم يكن في شيء مما كان فيه.

□ كان قيس بن مسلم يصلي حتى السحر. ثم يجلس فيهيج البكاء ساعة بعد ساعة ويقول: (لأمر ما خلقنا. لأمر ما خلقنا. لئن لم نأت الآخرة بخير لنهلكن).

□ كان أبو إسحاق الشيرازي إذا جاءه الليل يقوم ويناجي ربه ويقول:

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا ** وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد
وقلت يا عُدتي من كل نائبة ** ومن عليه بكشف الضر أعتد
أشكو إليك أمواراً أنت تعلمها ** مالي على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالذل معترفاً ** إليك يا خير من مُدَّت إليه يد
فلا تردها يارب خاليبة ** فبحر جودك يروي كل من يرد
يردّها ويبكي!!



(٦) قيام الليل في رمضان:

- قال رسول الله ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».
- صلاة الليل في رمضان أفضل من غيرها. ومنها صلاة التراويح. والتهجد في العشر الأواخر. ومعنى قوله ﷺ: (إيماناً) أي تصديقاً بثوابه وفضله وتقريبه من الرب جل في علاه. ومعنى (احتساباً) أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس. ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص. وجاء بهاتين الكلمتين. لأن الرجل يفعل الشيء قد لا يفعله مخلصاً بل لرياء وغيره. والمخلص في الفعل قد لا يكون موقناً بثوابه... فتسلح في رمضان بعدة الإخلاص واليقين تفض بكثر المغفرة الثمين!!
- وما ورد من إطلاق غفران الذنوب كلها على فعل بعض الطاعات من غير توبة كهذا الحديث فحمله العلماء على الصغائر فإن الكبائر لا يكفرها غير التوبة لقول النبي ﷺ في شأن رمضان إلى رمضان أنه كفارة ما اجتنبت الكبائر.
- وأنت تلمح في الحديث أن النبي ﷺ رغب في القيام وندب إليه من غير أن يأمرهم بعزيمة وإلزام لطفاً في الدعوة. مكتفياً بذكر الثواب العظيم الذي يغري كل مؤمن. ويثير شهية كل راغب في الأجر والثواب.

- وقيام الليل لون من ألوان الجهاد. وهو جهاد النفس. قال الحافظ ابن رجب: واعلم أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام. وجهاد بالليل على القيام. فمن جمع بين هذين الجهادين وقى أجره بغير حساب.

(٧) وغابت شمس القيام:

- فعصى الناس ربهم في أشرف أوقات العام بركة ورحماً. وهجره بعد أن مد يد المعونة إليه. وأداروا ظهرهم لثواب خالقهم وهم أحوج ما يكونون إليه.

(٨) دعاء:

- اللهم أيقظنا في أحب الأوقات إليك نناجيك ونناديك فتنظر إلينا نظرة رحمة ورضا.
- اللهم جاف جنوبنا عن الفرش وعوضنا بدلاً منها في الجنة فرشاً بطائنها من إستبرق.
- اللهم ارزقنا الاستغفار بالاسحار واجعل ذلك وقاية لنا من النار.
- اللهم لا حرمننا ثواب القيام بالليل لأننا أذنبنا بالنهار. واجبر كسر عبادك المذنبين. والطف بعبادك التائبين المنكسرين.

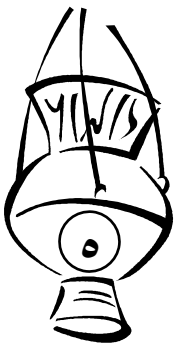


(٩) لا تكن أنانياً:

- أيقظ أهلك وأبناءك لقيام الليل، واصحبهم معك في صلاة التراويح والتهجد.
- اصحب جيرانك إلى المسجد المجاور.. حيث إمام حسن الصوت خاشع التلاوة.
- اطبع هذه الورقات من موقعي الشخصي (www.khaledaboshady.com):
← علّقها في مسجدك وفي مساجد غيرك إن استطعت.
← أهدها إلى إمام المسجد ليستفيد منها في خطبة الجمعة أو خواطر التراويح إن أراد.
- ضع رابط هذه الصفحة على الـ (Facebook).

(١٠) كفانا كلاماً أرونا العمل:

- ليس القيام في رمضان فحسب بل وبعد رمضان: لأن خطة التغيير المستهدفة دائمة الأثر وليست مجرد طفرة وقتية سرعان ما تزول. وإليك الأسباب المعينة على القيام والممهّدة له..
- أشار أبو حامد الغزالي أن هناك أسباباً ظاهرة وأخرى باطنة ميسرة لقيام الليل:
← فأما الأسباب الظاهرة فأربعة أمور:
 - الأول: ألا يكثر الأكل فيكثر الشرب. فيغلبه النوم. وينقل عليه القيام.
 - الثاني: ألا يتعب نفسه بالنهار بما لا فائدة فيه.
 - الثالث: ألا يترك القيلولة بالنهار فإنها تعين على القيام.
 - الرابع: ألا يرتكب الأوزار بالنهار فيحرم القيام بالليل.
- ← وأما الأسباب الباطنة فأربعة أمور:
 - الأول: سلامة القلب من الحقد على المسلمين.
 - الثاني: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.
 - الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل.
 - الرابع: وهو أشرف البواعث: الحب لله، وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا ويشعر أنه مُناجٍ ربه.



من موقع: الدكتور خالد أبو شادي

www.khaledaboshady.com